العلاقات السعودية المغربية

في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز

د. لطيفة الكَندوز
قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس - المملكة المغربية

إن العلاقة الأخوية بين المملكة العربية السعودية وشقيقتها المملكة المغربية، لها جذور تاريخية عميقة، وخصائص متميزة قائمة على تاريخ طويل وناصع من علاقات الود والأخوة والصفاء والتعاون البناء. وهي دليل مجسم للنموذج لما يمكن أن تكون عليه العلاقات بين الدول، فالدولتان الشقيقتان تمثلان عنصر توازن لتحقيق الاستقرار والأمن في المنطقة العربية، يعمل على تعميقه وترسيخه ودوامه، ما يربط بينهما من أواصر أخوية وثيقة وروابط متينة بين الشعبين الشقيقين، وعلاقات شخصية صادقة بين قيادتيهما، تنطلق من أسس ومنطلقات وخصوصيات متشابهة عديدة، وهذا ما عبّر عنه الملك فيصل رحمه الله بقوله: "أؤكد لجلالتكم بأن شعب المملكة العربية السعودية يؤيدكم ويؤيد بلادكم وينظر إليكم كإخوة مهما كانت الشقة بعيدة جغرافيًا، فإن القلوب مع بعضها، والإحساسات مع بعضها؛ ولهذا السبب فإن تقارب

الشعبين والبلدين هو الأمر الطبيعي، وخلافه هو الأمر النشاز"(١).

ويعد المراقبون والمحللون العلاقات المغربية السعودية نموذجًا يحتذى به في العلاقات العربية العربية، ومثالاً متميزًا في خصوصياتها ومتانتها وتفاعلها الإيجابي مع قضايا الأمة. وتعدّ العلاقات السعودية المغربية من أكثر العلاقات العربية استقرارًا، وركنًا في غاية الأهمية في التضامن العربي والإسلامي، وقوة دافعة لكل المبادرات التي تعود بالخير على الأمة وتخدم قضاياها وتحمي مصالحها.

أولاً - لمحة عن تاريخ العلاقات السعودية المغربية:

رغم البعد الجغرافي بين المملكتين السعودية والمغربية، فإن العلاقات بين الدولتين الشقيقتين اتسمت بتطابق وجهات النظر، والتنسيق العميق بشأن الاهتمامات المشتركة بينهما، وهي علاقات وصلات بدأت منذ القديم، حيث يعود الاتصال بين الجانبين إلى زمن بعيد، فمنذ أن تلقى المغرب رسالة الإسلام من المشرق، وقلوب المغاربة تتطلع بلهفة لملاقاة إخوانهم بأرض الحجاز منبع الرسالة المحمدية، وقد أكّد الملك الحسن الثاني في خطابه الموجه للملك فيصل عمق الصداقة التقليدية القائمة بين المغرب والسعودية، وقال: إن جذورها تعود إلى البدايات الأولى لرسالة الإسلام التي انبثقت من أرض الحجاز الطاهرة وتلقتها بلادنا بصدق

---

(١) مجلة وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، عدد خاص تحت عنوان "فيصل يتكلم"، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٨٤.

ويقين، مضيفًا أن الدولة السعودية رسخت ثوابت هذه العلاقة(٢).

وفعلاً ازدادت العلاقة بين البلدين رسوخًا منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى، حيث وصلت وثيقة سعودية إلى فاس سنة١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، وهي رسالة وجهها الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد آل سعود الملقب بسعود الكبير إلى علماء تونس لتبليغهم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فبعثوا بنسخة منها إلى نظرائهم المغاربة، وكان ذلك في عهد السلطان المولى سليمان الذي كلف علماء القرويين بالرد على الرسالة، ثم أرسل ابنه إبراهيم على رأس وفد الحجاج الذي كان يضم الكثير من العلماء؛ لتبليغ الإمام سعود الكبير موقفه من الدعوة، حيث أشاد بالطابع الإصلاحي للدعوة، الذي يتجلى في محاربة البدع، وإخلاص التوحيد لله، ومحاولة الرجوع بالدين إلى نقائه الأصلي(٣). بل إن هناك من الباحثين من عد الإصلاحات التي نهجها المولى سليمان في محاربة الانحرافات والبدع، كانت مستلهمة من الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد تجاوب مع أفكارها بعض رجال النخبة، مثل: الأديب والمؤرخ محمد أكنسوس، الذي كان وزيرًا ومؤرخًا للسلطان، وبعض علماء القرويين، مثل الفقيه السلفي

---

(٢) انبعاث أمة، مطبوعات القصر الملكي، ج١١، ١٣٨٥-١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص١٩٠.

(٣) المنصور، محمد، المغرب قبل الاستعمار: المجتمع والدولة والدين، ترجمة: محمد حبيدة، ٢٠٠٦م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص٢٣٨.

محمد بن المدني بن علي بن عبدالله، بحيث أصبحت هذه الدعوة - إبان هذه المرحلة - تشكل أساس مذهب الدولة(٤).

ويُرجع بعض الباحثين العلاقات المميزة بين البلدين في الوقت الحاضر إلى عمقها التاريخي، فالمملكة العربية السعودية - منذ توحيدها على يد الملك عبدالعزيز - كان من أُولى اهتماماتها المطالبة بتحرير واستقلال الشعوب العربية والإسلامية، ومن ضمنها المغرب. فخلال الدورة السادسة للأمم المتحدة التي انعقدت بباريس في قصر شايو - وخاصة في الجلسة التي انعقدت يوم ٢٧ صفر ١٣٧١هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٥١م - تصدى لمهاجمة الاستعمار الفرنسي في عقر داره عدد من المندوبين العرب، كان في صدارتهم عن المملكة العربية السعودية السيد صفي الدين، الذي كشف عن خيبته لعدم توصل اللجنة الخاصة إلى اتفاق جماعي بشأن الشروط التي يجب وضعها في الحسبان لتقرير تأهيل الشعوب المستعمرة لأخذ زمام أمرها بنفسها، وقد أعطى السيد صفي الدين أهمية بالغة لقضية المغرب، نظرًا للعلاقة الوطيدة التي تربط بلاده بالمغرب، بصفتها بلدًا عربيًا وإسلاميًا، وبصفتها بلدًا يتعلق بمبادىء ميثاق الأمم المتحدة(٥).

---

(٤) ابن منصور، عبدالوهاب ، صدى الحركة الإصلاحية السعودية في المغرب وموقف سلطانه وعلمائه منها، ضمن أعمال الندوة الكبرى بمناسبة الاحتفال بمرور مئة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية، منشورات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٥) التازي، عبدالهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطابع فضالة، المحمدية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج١٠، ص٢١٠، تعليق١٤.

وحينما عُرضت القضية المغربية على هيئة الأمم المتحدة سنة ١٣٧١ هـ/ فبراير١٩٥٢م، كان مندوب المملكة العربية السعودية رشاد فرعون من أكبر المدافعين عن استقلال المغرب وحريته، ومما جاء في تدخله: "من الواجب إيجاد حل سريع عادل ونزيه تتحقق فيه مطامع الشعب المغربي المشروعة... إنني أؤكد هنا حسن نوايا حكومتي واستعدادها الأكيد للمساهمة في جميع المجهودات الهادفة إلى تسوية كل خلاف بالطرق السلمية"(٦). وقد كان للملك فيصل - رحمه الله - الدور الأكبر في هذا الموقف، بصفته المؤسس الحقيقي للدبلوماسية السعودية بشهادة والده الملك عبدالعزيز.

فالمملكة العربية السعودية كان لها على الدوام مواقف داعمة للمغرب، وخاصة فيما يتعلق باستقلاله ووحدته الترابية، لذا أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين الشقيقين عام ١٩٥٧م، أي بعد أقل من عام من استقلال المملكة المغربية.

وازدادت العلاقات بين البلدين توثيقًا عندما تولى الملك فيصل - رحمه الله - حكم المملكة، حيث خصّ المغرب بست زيارات خلال مدة حكمه (١٣٨٤-١٣٩٥هـ/١٩٦٤-١٩٧٥م)، كانت تمليها ظروف سياسية تحتاج إلى التشاور وتنسيق العمل بين العاهلين، أسهمت في تقوية العلاقات بين المملكتين، ومد المزيد من جسور التعاون والتضامن بينهما، وقد جاء في حديث الملك الحسن الثاني ما يؤكد ذلك: "أما محادثاتنا السياسية فقد تطرقنا - أي: الحسن الثاني والملك

---

(٦) كريّم، عبدالكريم، معالم من تاريخ العلاقات المغربية السعودية، مطابع الجامعة، الرياض، ص٥١-٥٢.

فيصل – إلى عدة مواضيع كان على رأسها موضوع العلاقات الثنائية التي تربط البلدين، وقد لاحظنا بارتياح كبير أن الرحلة التي شرف بها جلالة الملك فيصل بلاده وشعبه في المغرب كانت بمثابة نقطة انطلاق لعلاقات كانت موجودة في الماضي القديم، وكان أسبغ عليها الاستعمار نوعًا من الفتور، ولكن زيارة جلالة الملك فيصل إلى المغرب كانت بمثابة تحاقن دم جديد، وربط علاقات جديدة بين البلدين أولاً وبينه وبيني ثانيًا، فرغم البعد والنَّوى صرنا نحس أننا أقرب إليه وأنه أقرب إلينا من حبل الوريد"(٧).

وكان الملك الحسن الثاني يشيد دائمًا بالأواصر الأخوية المثالية والاستثنائية التي تربط بين البلدين والشعبين الشقيقين المتحابين في الله، كما كان يؤكد أنه وجد في الملك فيصل بن عبدالعزيز قائدًا حكيمًا عرف بالحكمة والتأني في اتخاذ قراراته وعدم تغيير موقفه، يشاطره نفس الاختيار، ونفس الحزم والعزم، تجمعه وإياه القيم والأهداف النبيلة جمع تآخ صادق، ومحبة متبادلة، وتناصر وتشاور دائمين، فيما يحقق للأمة العزة والكرامة. مشيرًا إلى أن علاقاته بالملك فيصل تنطلق من الفهم التام من كل منهما للآخر، وتقوم على الاحترام المتبادل، معتبرًا إياه الصديق المخلص والحليف الحميم(٨).

---

(٧) انبعاث أمة، مطبوعات القصر الملكي، ج١٣، ١٣٨٧-١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٦٧.

(٨) ضمن خطاب الملك الحسن الثاني في أثناء العشاء الرسمي المقام على شرف الملك فيصل بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ/٤ سبتمبر ١٩٦٦م، انظر: انبعاث أمة، ج١١، مرجع سابق.

ومن خلال دراستنا للزيارات المتبادلة بين مسؤولي البلدين في عهد الملك فيصل، وتحليل الخطب التي ألقاها العاهلان السعودي والمغربي، نستنتج مدى التوافق والتجانس والتنسيق في القضايا الأساسية التي تواجه البلدين داخليًا وخارجيًا، وتطابق الخطة الأساسية لسياستهما المبنية على التطور والتجديد الهادف مع الحفاظ على الثوابت الدينية والثقافية.

ولبيان الاهتمامات المشتركة بين الملكين فيصل والحسن الثاني، سواء في سياستهما الداخلية، أو سياستهما الإقليمية والدولية، التي تنطلق من أسس ومنطلقات وخصوصيات متشابهة عديدة؛ سنحاول تحديد مجالات التنسيق والتعاون بينهما في المحورين التاليين:

المحور الأول - طبيعة العلاقات السعودية المغربية:

الهدف الأسمى لهما هو تحقيق الوحدة العربية والإسلامية

تتجلى الوحدة بين السعودية والمغرب، في الشعور بالتضامن القائم بين كل أفراد الأمتين، والناتج عن عناصر الترابط المختلفة التي تجمع بينهما، ومنها وحدة اللغة والتاريخ والمصير المشترك، ومواجهة التحديات الخارجية المتمثلة في الشيوعية والصهيونية والاستعمار، وأن الهدف الأسمى لهما هو تحقيق الوحدة العربية والإسلامية. وكان ذلك التميز في العلاقة ناتجًا في حقيقة الأمر عن تشابه الطابع السياسي للمملكتين، وكذلك عن تشابه أجندتهما السياسية، وهذا ما أكده الملك فيصل في ردّه على خطاب الملك الحسن الثاني: "أؤكد لكم بأن هدفنا هو هدفكم

وأن اتجاهنا هو اتجاهكم..."(٩)، ويتجلى التنسيق والتعاون بين البلدين والقيادتين في الوجهات التالية:

١ - من الوجهة السياسية:

من الملاحظ أن الإسلام - دين الدولة - يعد أحد الثوابت المركزية وقاسمًا مشتركًا بين المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية؛ ولذلك نلحظ في إدارة الحوار على المستوى الدولي أن السياسة الخارجية للدولتين تبقى مطبوعة بتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام لدى الغرب من خلال بناء المراكز الإسلامية والثقافية والمساجد، ودعم الأقليات المسلمة في كل مكان.

إن التماثل في طبيعة النظام السياسي (الملكية)، والتقارب في المواقف السياسية (الاعتدال)، بين العاهلين (فيصل والحسن)، شكلا حجر الزاوية في سعي العاهلين لتقوية علاقاتهما التي احتلت مكانة خاصة إذا ما قورنت بعلاقة البلدين بباقي الدول العربية، ومن المؤكد أنهما يستمدان شرعية سلطتهما من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والتقاليد العربية الأصيلة، ومما جاء في خطاب الحسن الثاني: "وهكذا ترون أن روابطنا وأسس تعاملنا ليست تلك الأسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة، بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبني على أعز ما هو في أنفسنا وأقدس ما في أرواحنا، وهو الإيمان بالله وبرسوله والعمل بكتابه الحكيم"(١٠).

---

(٩) مجلة وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، عدد خاص "فيصل يتكلم"، مرجع سابق، ص٧٩.

(١٠) الكتاني، محمد، البعد الإسلامي للفكر الحسني، ضمن أعمال ندوة "فكر الحسن الثاني أصالة وتجديد"، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ج١، الرباط، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢١٨.

وبهذا ارتكزت سياستهما الخارجية على دعم التضامن العربي والإسلامي، والدفاع عن القضايا العربية والإسلامية العادلة، والمحافظة على الاستقرار والسلام العالميين، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وبالمقابل عدم السماح للغير بالتدخل في شؤون بلديهما، والاحترام الكامل لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

ولا شكّ في أن تلك الزيارات المتبادلة بين العاهلين إنما تعبر عن الروابط المتينة المميزة بينهما، ولابد أن لكل زيارة دافعًا وسببًا ظاهرًا أو خفيًا في ظروف سياسية عصيبة مرّ بها العالم العربي والإسلامي.

وكما ذكرنا سابقًا فقد زار الملك فيصل - رحمه الله - المغرب ست مرات خلال مدة حكمه القصيرة، كما أن الملك محمد الخامس خص السعودية بأول زيارة له خارج البلاد بعد رجوعه من المنفى وحصول بلاده على الاستقلال، وفي عهد خلفه الحسن الثاني ازدادت الزيارات الرسمية والخاصة سواء بين العاهلين أو الأمراء أو ممثلين عنهم.

فأول زيارة رسمية للملك فيصل للمغرب تمت في الفترة ما بين ١٩-٢٧ من جمادى الأولى ١٣٨٦هـ/ ٤-١٢ من سبتمبر ١٩٦٦م، كانت بهدف دعم العلاقات الودية بين الدولتين الشقيقتين، وللتشاور مع الملك الحسن الثاني حول القضايا ذات الاهتمام المشترك، ولا سيما قضايا الأمة العربية والعالم الإسلامي، وخلال هذا اللقاء عبّر الحسن الثاني عن الأهمية السياسية والاقتصادية التي تتمتع بها المملكة العربية السعودية على الأصعدة الإقليمية والدولية، مشيرًا إلى

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

ما حققته المملكة تحت حكم الملك فيصل من تقدم في جميع المجالات التنموية والحضارية والاقتصادية، ومما جاء في خطابه: "ولقد وفّقكم الله يا صاحب الجلالة إلى معرفة حاجات بلادكم، فجعلتم تنميتها في طليعة الأهداف التي تحرصون على بلوغها، واتجهت عنايتكم إلى إنجاز المشروعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إن الجهود التي تبذلونها في هذه الميادين كلها لتستحق التقدير وتستدعي الإعجاب"(١١). كما نوّه بالدور الرائد الذي يقوم به الملك فيصل في منطقة الشرق الأوسط وفي المحافل الدولية، مشيدًا بمبادراته الجادة تجاه قضية فلسطين، وعمله الدؤوب للمّ الشمل العربي والإسلامي بما يحفظ للأمة حقوقها وللمنطقة سلامتها، مصرحًا بقوله: "وإننا لنرى حقًّا علينا أن نشيد بمواقف جلالتكم من هذه الأزمة الخطيرة وليس بدعًا ولا مستغربًا أن يقف جلالتكم هذه المواقف المتسمة بالنبل والشهامة، المطبوعة بطابع نصرة الحق والكرامة، وتلك مواقف جديرة بملك عربي مسلم، قيّضه الله لحماية حمى الحرمين الشريفين... وما مواقفكم هذه يا صاحب الجلالة إلا استمرار لفضائل وسجايا الأسرة السعودية العظيمة، التي قامت على صرح التقوى والإيمان بالله..، وحملت أمانة السهر في مملكتكم على القيم الإسلامية العليا، وتجديد الدعوة إلى سلوك طريق السلف الصالح"(١٢).

---

(١١) انبعاث أمة، مطبوعات القصر الملكي، ج١٣، ١٣٨٧-١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص١٥٨-١٥٩.

(١٢) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

وأثنى العاهل المغربي على نجاح الملك فيصل في الجمع بين التمسك بالثوابت الإسلامية الأصيلة، والانفتاح على العالم والاستفادة من معطيات الحضارة الحديثة، معبّرًا عن ذلك بقوله: "ذلك أننا نعلم أنكم وإن كنتم لم تأخذوا بمقاليد الحكم إلا منذ ثلاث سنوات، فإنكم قد تميزتم قبلاً - وأنتم تزاولون مهام الدولة كولي للعهد - بنظرتكم الفاحصة وبميلكم إلى التجديد الهادف الذي يتفق مع المحافظة على القيم الروحية، وبحرصكم على خلق تطور عميق في بلادكم لا يخلّ بتوازنها". ويضيف قائلاً: "ولقد حققتم في الفترة الوجيزة من عهد ملككم الميمون مشاريع انطلقت بها حركة النهضة والتطور في بلادكم، وأخذت تباشيرها تؤذن بنجاح مساعيكم وتوثيق برامجكم"(١٣).

وفي جواب الملك فيصل تقدير للمنهج الحكيم والأسلوب الرصين لدبلوماسية الحسن الثاني في العلاقات الإقليمية والدولية مع الدول العربية والإسلامية والعالمية، هذا الأسلوب الذي يعتمد على الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية والمواثيق والأعراف الدولية، والتروي والاعتدال في تحديد المواقف واتخاذ القرارات، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى والبعد عن المهاترات الإعلامية، وجاء في خطابه: "ولاشك أن في حكمة جلالتكم وحسن إدراككم ما يجعلنا نطمئن بأنكم تميزون بين الحق والباطل، وأنكم تميزون بين كل الأهداف أو الاتجاهات التي تستهدف إيجاد الخلافات واختلاق القضايا"(١٤).

---

(١٣) انبعاث أمة، ج١١، ١٣٨٥-١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص١٩٠.

(١٤) انظر ذلك بتفصيل في مجلة وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، عدد خاص "فيصل يتكلم"، مرجع سابق، ص٧٩.

وقد لاقت هذه الزيارات بين العاهلين عناية كبيرة على مستوى جميع الوزارات والهيئات في البلدين، فاتُّفق خلالها على بلورة شراكة إستراتيجية بين البلدين الشقيقين تقوم على أساس التفاهم والتوافق بما يخدم المصالح العليا لشعبيهما، وصدرت إثرها توجهات للعمل على تنفيذ جميع بنود الاتفاقيات التي أبرمت بين الطرفين، نتج عنها تبادل ثقافي واقتصادي وتطابق سياسي في الرؤى حول العديد من الموضوعات الإقليمية والدولية.

٢ - من الوجهة الاقتصادية:

ترتكز الدولتان اقتصاديًا على نهج اقتصاد السوق القائم على الحرية والانفتاح وقبول الاستثمار الأجنبي والتعايش مع المجتمع الدولي من منطلق الانفتاح(١٥). وهذا ما ساعد على عقد العديد من الاتفاقيات ودعم التنمية الاقتصادية بينهما. فخلال الزيارات المتبادلة بين العاهلين فيصل والحسن الثاني، أبرمت العديد من الاتفاقيات المشتركة بين الطرفين نصت على: تشجيع قيام مشاريع اقتصادية بين البلدين، وإنشاء شركات مختلطة للإنتاج، وتنظيم وتنفيذ التعاون والبحث في جميع المجالات، وخاصة في ميدان الصناعة والسياحة والزراعة والمعادن.

---

(١٥) انظر ما ورد عند الحسيني، تاج الدين، دور المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية في دعم الحوار الحضاري، أعمال الندوة المنظمة بجامعة الأخوين بإفران ما بين ١٢-١٥ من صفر ١٤٢٣هـ/ ٢٤ و٢٧ من إبريل ٢٠٠٢م، تحت عنوان "العلاقات المغربية السعودية في سياق ضرورة الحوار الثقافي والحضاري"، ص١٠١-١٠٧.

وتم عقد اتفاق عام في المجال التجاري خلال زيارة الملك فيصل للمغرب عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، يؤطِّر العلاقات التجارية المغربية السعودية، ويتضمن قائمة تحتوي على المنتجات التي سيتم تبادلها بين البلدين، كما تمّ فتح مركز تجاري للمغرب في مدينة جدة، وفي شهر شوال١٣٨٦هـ/ يناير ١٩٦٧م تأسس خط جوي بين المملكتين(١٦).

وتنفيذًا لبنود الاتفاق التجاري السابق الذكر، فإن الطرفين ما فتئا في كل زيارة يتفقان على تدابير من أجل تنمية التبادل التجاري بينهما وتشجيعه، ووضع برامج بين هيئات الغرف التجارية في البلدين، حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين خلال سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، نحو (٣٣) مليون دولار(١٧)، مثلت صادرات المغرب إلى السعودية ما يعادل (٢) مليون دولار، أما الواردات فوصلت قيمتها إلى (٣١) مليون دولار، احتلت حينها مبادلات المغرب مع السعودية الصف الثالث في المبادلات العربية بعد العراق والجزائر(١٨).

كما أعرب الملك فيصل عن استعداد المملكة للإسهام في مشاريع التنمية بالمغرب؛ لذا أبرمت بين الطرفين اتفاقية

---

(١٦) الحمودي، عبدالرحمن، الدبلوماسية والمراسم السعودية، مج٣، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٢٩.

(١٧) حسب إحصاء سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م بلغت قيمة ما تستورده المغرب من المملكة العربية السعودية ما قيمته (١,٦) مليار دولار، في حين بلغت قيمة الصادرات إلى السوق السعودية ما قيمته (٥٧) مليون دولار.

(١٨) المصدر: جدول رقم ١٧/٢/٢/٣ في كتاب الإحصاء السنوي للبلاد العربية الصادر سنة ١٩٧٦م، عن المكتب المركزي للإحصاء التابع للجامعة العربية، القاهرة، ص١٢٦-١٦٤ .

قروض بدون فائدة في ١٣٩٤/٤/٢٩هـ الموافق ١٩٧٤/٥/٢١م قيمتها الإجمالية (٥٠) مليون دولار(١٩).

٣ - من الوجهة الثقافية والعلمية:

في أثناء زيارة الملك فيصل الرسمية للمغرب عقدت بين البلدين اتفاقيات التبادل الثقافي والعلمي في ١٣٨٦/٥/٢١هـ الموافق ١٩٦٦/٩/٦م(٢٠)، وكانت تهدف إلى مد جسور التعاون والتواصل المعرفي والحوار الفكري بين النخب الثقافية لكلا البلدين الشقيقين، والحرص على تبادل التجارب العلمية والمعرفية من خلال زيارة الوفود الأكاديمية والجامعية والإعلامية للبلدين الشقيقين، كما أبدى الطرفان استعدادهما لتلبية طلبات المنح الدراسية التي يمكن أن تتقدم بها بعض الجهات للأخرى.

وقد توّجت العلاقات الثقافية بين البلدين بتشييد الصرح الثقافي السعودي، المتمثل في "الملحقية الثقافية السعودية بالمغرب" التي فتحت أبوابها عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م(٢١)، وأصبحت رافدًا حيويًا يغذي العلاقات السعودية المغربية المتميزة بمختلف القيم الثقافية والحضارية.

وتهدف هذه الملحقية بالأساس إلى تعريف جمهور المثقفين المغاربة بمكونات المشهد الثقافي السعودي، وإطلاعه على

---

(١٩) الجريدة الرسمية المغربية، عدد ٣٢٤٠، بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٤م.

(٢٠) اتفق البلدان على تطوير هذه الاتفاقية خلال شهر المحرم ١٤١٣هـ/ يوليو ١٩٩٣م.

(٢١) دشنت بعد الزيارة الخامسة للملك فيصل للمغرب التي تمت ما بين ٥-٧ من جمادى الأولى ١٣٩٣هـ/ ٦- ٨ من يونيو ١٩٧٣م.

أهم ما يستجد من إبداعات ومؤلفات في مختلف الحقول المعرفية، بالإضافة إلى إسهامها في التعريف بالإنجازات الحضارية التي حققتها المملكة العربية السعودية، والمستويات التنموية التي بلغتها على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك تعمل هذه الملحقية على تيسير سبل تداول المؤلفات والمطبوعات الجامعية والأكاديمية وتبادلها بين المؤسسات الثقافية والعلمية للبلدين الشقيقين.

كما أنشئت المكتبة السعودية العامة في السنة نفسها؛ لتقوم بدور الإشعاع للملحقية الثقافية، ولتدعم البحث العلمي في مجال العلوم الإسلامية والإنسانية، وكذلك من أجل تحقيق رسالة الملحقية الثقافية المتمثلة في توثيق عرى الترابط الحضاري بين المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية، وبتاريخ ١٣٨٨/٨/٢٩هـ الموافق ١٩٦٨/١١/٢٠م وُقِّع اتفاق بين الإذاعة والتلفزة المغربية ونظيرتها السعودية، من أجل تبادل الخبرات بينهما.

المحور الثاني - التنسيق والتعاون السعودي المغربي في المجال الدولي:

كانت سياسة العاهلين فيصل والحسن الثاني تقوم على الإيمان الراسخ بأن بلديهما يجب أن تكونا منطقتي سلام بعيدتين عن الصراع العالمي، وذلك عن طريق نبذ سياسةً الأحلاف العسكرية والتكتلات الدولية، وإن تحقيق هذه الغاية يتطلب زيادة التنسيق والتعاون المشترك بينهما "المنبثق عن الإخلاص الذي لا يسعى إلى التدخل في شؤون الآخرين

ولا إلى وضع الحزازات أو الأحقاد بين الإخوة وبين العائلة الواحدة"(٢٢).

هذا التشابه في مواقف القيادتين السعودية والمغربية ساعد الجانبين على تقاسم الأدوار فيما بينهما حول قضايا العالمين العربي والإسلامي، والتأييد المطلق لبعضهما فيما يخص القضايا التي تواجههما، (كتأييد المغرب للسعودية في نزاعها مع الدول ذات التوجه الماركسي، ودور السعودية في المطالبة باستقلال المغرب، ودورها في حل النزاع المغربي الجزائري، وقضية الوحدة الترابية المغربية)، واستمدت العناية الخاصة - التي وجهها عاهلا البلدين للقضايا المصيرية للأمتين العربية والإسلامية - مقوماتها من الأدوار المناطة بهما، من خلال مكانتهما المرموقة، والاحترام والتقدير اللذين يحظيان به في خدمة القضايا الإسلامية، ودعمهما الذي ما فتئا يقدمانه للشعوب الإسلامية والعربية. وللعاهلين أيادٍ بيضاء ومواقف نبيلة من القضايا العربية والإسلامية، تأتي في مقدمتها القضية الفلسطينية من حيث الدعم السياسي والمادي والمعنوي.

لقد نتج عن هذا الإخاء الذي يربط بين القيادتين في كل من المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية، وكذا توافق المبادئ وتطابق المنطلقات بين الملكين، أن كانت مواقفهما من القضايا المطروحة - سواء على المستوى العربي أو الإسلامي أو الدولي - مواقف واحدة، بينهما تطابق تام في وجهات النظر

---

(٢٢) كلام للملك فيصل في أثناء زيارته الرسمية الأولى للمغرب التي تمت ما بين ١٧-٢١ من جمادى الأولى ١٣٨٥هـ/١٣- ١٧ من سبتمبر ١٩٦٦م.

حول مختلف القضايا الثنائية والدولية ذات الاهتمام المشترك بين المملكتين لأنهما الدرعان الشرقي والغربي للأمة العربية.

١ - على المستوى العربي:

عندما نستحضر حالة كل من المغرب والسعودية في السعي إلى وحدة الصف العربي، وأمام المشاكل العديدة والقضايا المتنوعة التي كانت تواجه العالم العربي، والتي تستدعي المزيد من الجهود والتعاون، لا يمكن أن ننكر أن المغرب والسعودية برزتا خلال هذه المرحلة وأصبحتا عنصرًا فعالاً في الساحة العربية، وأحيطتا بهالة سياسية جعلتهما محط أنظار معظم الأطراف العربية، لأنهما الطرف المؤهل أكثر من غيره للدفاع عن القضايا العربية المصيرية عربيًا ودوليًا(٢٣).

ومن هذا المنطلق استطاع العاهلان (فيصل والحسن الثاني) القيام بدور المحاور الأساسي لأطراف النظام العربي بشأن أهم القضايا العربية (القضية الفلسطينية، وقضية القدس)، وأصبح لهما حضور قوي في تسوية القضايا العربية، ترتب على ذلك تقوية مركزهما على أنهما فاعلان أساسيان في الساحة العربية والإسلامية، وأصبحت بلداهما من الدول العربية القليلة التي تحظى باهتمام دولي غربي، ويتم اعتمادهما ليكونا أهم المحطات العربية المساهمة في إقرار سلم دائم في الشرق الأوسط(٢٤).

---

(23) L'Arabie Saoudite nouveau centre du S.Tolotti monde arabe :les cahiers de l'Afrique et l'Asie moderne. n_143, 1984-85.

(٢٤) عنيس، عبدالرحيم، السياسة المغربية الشرق أوسطية ١٩٥٦-١٩٩٠م، رسالة دبلوم الدراسات العليا، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية الحقوق، فاس، إبريل ١٩٩١م، ص٢٠٦.

لقد ركز العاهلان اهتمامهما لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية، حيث سجل التاريخ في حقهما الدور الريادي في دعم التضامن العربي، وسعيهما الحثيث من أجل وحدة الصف العربي، وذلك بالعمل المتواصل على تنقية الأجواء بين الدول المتنازعة، مستفيدين من وزن بلديهما الدولي، وثقة الرأي العام العربي والعالمي بمصداقيتهما، وعدم دخولهما تحالفات أو تناقضات؛ لذلك احتفظا بمكانتهما العالية وبخطوط مفتوحة مع مختلف التيارات.

وعلى مستوى التضامن العربي فإن توافق العمل الدبلوماسي للبلدين يعكس مدى تطابق وجهات النظر في التعامل مع القضايا العربية، ولا سيما القضية الفلسطينية؛ فكلا البلدين عملا على إبعاد القضية من حلبة الصراعات العربية عبر تكريس منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلاً شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني، ولتكون القضية محط اهتمام العرب والمسلمين جميعًا. وكلا البلدين حاولا إيجاد منفذ لإخراج القضية من النفق المسدود عن طريق البحث عن خطة سلمية للقضية.

وتعد فترة الثمانينيات والتسعينيات الهجرية/ الستينيات والسبعينيات الميلادية - التي تزامنت مع حكم الملك فيصل - من أكثر الفترات حسمًا في تاريخ الدول العربية بصفة عامة، وتاريخ القضية الفلسطينية بصفة خاصة؛ حيث شهدت هذه المرحلة العديد من المتغيرات على جميع المستويات الإقليمية والدولية، وكان الملك فيصل من أكثر القادة العرب وضوحًا في الرؤية، وسدادًا في الرأي، وصوابًا في اتخاد القرار

لصالح قضية العرب الأولى: القضية الفلسطينية⁽²⁵⁾، فأوضحت لنا الحنكة والحكمة التي أدار بها العاهل السعودي دفة السياسة الخارجية لبلاده.

وقد شكلت القضية الفلسطينية مكان الصدارة في الخطابات الرسمية للعاهلين السعودي والمغربي من جهة، وفي التحركات الدبلوماسية لبلديهما من جهة أخرى؛ فمن أقوال الحسن الثاني حول القضية الفلسطينية: "فقضية فلسطين هي قضية عزيزة علينا نحن عرب المغرب، عزيزة علينا أكثر مما تظنون، فنحن نحس إحساسكم، ونشعر شعوركم... وجب علينا أن نجعل من هذه القضية همّنا الأول وهدفنا الأسمى"(٢٦).

وفي غالبية التصريحات التي أعلنها الملك فيصل جاءت الانتماءات العربية في مقدمة أولوياته، وكانت عنايته بالقضية الفلسطينية أحد الثوابت التي كان يؤكدها، معتبرًا أن ما يحدث في فلسطين هو من أولويات الشأن العربي، بحيث لا تخلو واحدة من خطبه - مهما كانت مناسبتها ومهما كان زمنها - من تأكيد عنايته بهذه القضية العربية الكبرى،

---

(٢٥) عليوه، السيد، الملك فيصل والقضية الفلسطينية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٠. وانظر في الموضوع نفسه ما أورده غازي بن أحمد بن علي الفقيه: شواهد من الموقف السعودي الرسمي اتجاه القضية الفلسطينية في عهد فيصل بن عبدالعزيز أميرًا وملكًا، ضمن بحوث ندوة المملكة العربية السعودية وفلسطين، ج ٢، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٢٩-١٧٧.

(٢٦) في خطاب ألقاه الحسن الثاني في المؤتمر الشعبي بمدينة المنصورة بمصر يوم الإثنين ١١ ذي القعدة ١٣٨٤هـ/ ١٥ مارس ١٩٦٥م.

ودعوته لضرورة العمل من أجلها(٢٧). حيث بذل جلالته جهودًا مضنية في سبيل الدفاع عن حقوق الفلسطينيين، وتولى دعم القضية الفلسطينية دبلوماسيًا وماديًا وإعلاميًا، ففي زيارته الرسمية الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م طالبها بأن تضغط على إسرائيل لإقرار السلام والعدل الدائمين في الشرق الأوسط، وأن تتبنى الإدارة الأمريكية موقفًا عادلاً لإقرار حقوق الشعب الفلسطيني وجميع الحقوق العربية المشروعة(٢٨).

وجاء في تصريح للملك فيصل أذيع من مكة في ٢١ ذي القعدة ١٣٨٤هـ الموافق ٢٣ مارس ١٩٦٥م: "أن بلاده تلتزم التزامًا تامًا بمقررات مؤتمري القمة العربيين، وبقرارات كل من مؤتمر رؤساء الحكومات العربية ومؤتمر وزراء الخارجية العرب... وقال: إننا نعتبر قضية فلسطين قضيتنا وقضية العرب الأولى، وإن فلسطين بالنسبة لنا أغلى من البترول وأغلى من أرواحنا، وإننا لن نتوانى في استعمال البترول كسلاح في المعركة إذا دعت الضرورة لذلك"، وأضاف "أن الشعب الفلسطيني لابد أن يعود إلى وطنه حتى ولو كلفنا ذلك أرواحنا جميعًا"(٢٩).

---

(٢٧) المنجد، صلاح الدين، فيصل من خلال أقواله وأعماله، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٠٣.

(٢٨) انظر حول ذلك ما أورده إبراهيم بن عبدالله السماري في مقاله: دعم الملك فيصل للقضية الفلسطينية، ضمن بحوث "المملكة العربية السعودية وفلسطين"، ج٢، مرجع سابق، ص٣٨٥-٣٠٥.

(٢٩) عليوه، السيد، الملك فيصل والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص٢٤- ٢٥.

وهذا ما أثبته بالفعل عندما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمد جسر جوي يوصل الأسلحة إلى إسرائيل في أثناء حربها مع مصر وسوريا في رمضان ١٣٩٣هـ/ أكتوبر ١٩٧٣م، مما أنقذ إسرائيل من هزيمة محققة وانهيار وشيك، حيث أعلن الملك فيصل في ٢١ رمضان ١٣٩٣هـ/ ١٧ أكتوبر ١٩٧٣م بأن المملكة العربية السعودية ستوقف شحن البترول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتقلل من إنتاج البترول، وكان لاستعمال سلاح البترول أثر فعال في المجال الدولي نتجت عنه أزمة صناعية في أمريكا وأوربا، خاصةً أن هذه البلدان كانت مقبلة آنذاك على فصل الشتاء الذي يكثر فيه الطلب على النفط؛ فبادر هنري كسينجر وزير خارجية أمريكا بزيارة عاجلة للملك فيصل لإقناعه بإلغاء مقاطعة البترول مقابل تعهده بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة(٣٠).

وقد بذل العاهلان فيصل والحسن الثاني جهودًا كبرى لعقد مؤتمرات عربية وإسلامية لدعم قضية فلسطين نورد هنا أهمها:

١ - مؤتمر الخرطوم في جمادى الأولى ١٣٨٧هـ/ أغسطس ١٩٦٧م بعد النكسة العربية، حضره ممثلو ٢٢ دولة، وتقرر في ذلك المؤتمر دعم مصر وسوريا والأردن لإعادة تسليحها وتمكينها من مواجهة آثار الضربة العسكرية

---

(٣٠) اعتبرت مجلة (تايم Time) الأمريكية الملك فيصل أهم شخصية لعام ١٩٧٤م، ومنحته لقب رجل العام، معللة هذا الاختيار بكون الملك فيصل صاحب نفوذ كبير وله أكبر الأثر على مجريات أحداث سنة ١٩٧٤م، كما وصفه الرئيس نيكسون برجل السياسة المحنك.

والسياسية التي ألحقتها إسرائيل بالعالم العربي، وأسهمت المملكة بالنصيب الأكبر من ذلك الدعم الذي جاء في حجمه ودواعيه تعبيرًا عن صدق العروبة لدى فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله(٣١).

٢ - مؤتمر إسلامي في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ/ ٢١ سبتمبر ١٩٦٧م، عقد في عمان حضره ممثلون عن (٢١) دولة إسلامية، لبحث آثار العدوان الإسرائيلي، وطالب المؤتمر بالجهاد لتحرير الأراضي العربية المحتلة ووجوب جعل يوم الإسراء والمعراج في كل سنة يومًا لفلسطين.

٣ - المؤتمر الإسلامي في مدينة الرباط العاصمة المغربية: عقد هذا المؤتمر ما بين ١١-١٤ من رجب ١٣٨٩هـ/ ٢٢-٢٥ من سبتمبر ١٩٦٩م، بعد حادثة إحراق المسجد الأقصى، وحضره مندوبو (٢٦) دولة إسلامية يمثلون (٦٠٠) مليون مسلم، وصدرت عنه قرارات عدة لتحرير القدس وجميع الأراضي العربية المحتلة، وأدان بشدة انتهاك الصهاينة لحرمة المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة والمقدسات الإسلامية الأخرى التي تهز وتحرك مشاعر المسلمين في العالم أجمع.

٤ - مؤتمر جدة الذي عقد في ١٤ المحرم ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، بمشاركة (٣٠) دولة ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقد اتخذ قراره بتأسيس "منظمة المؤتمر الإسلامي".

---

(٣١) بلغت حصة المملكة العربية السعودية خمسين مليون جنيه إسترليني تدفع مقدمًا عن كل ثلاثة أشهر ابتداءً من منتصف أكتوبر إلى حين إزالة آثار العدوان.

وهكذا نرى أنه عندما امتدت أيادي الصهيونية لإحراق المسجد الأقصى في القدس الشريف في ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ الموافق ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩م، دفعت هذه الجريمة إلى التجانس والتوافق في المواقف بين العاهلين السعودي والمغربي، وتحددت على إثر ذلك معالم إستراتيجية عربية إسلامية غير مسبوقة للتعامل مع القضية الفلسطينية يقودها التحالف السعودي المغربي(٣٢). وحينما سارع الملك الحسن الثاني إلى الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي بالرباط، كان أكبر دعم تلقاه جاء من طرف الملك فيصل - رحمه الله - الذي بادر إلى جمع التأييد للدعوة المغربية بقيامه بجولات مكوكية إلى دول إسلامية بقارتي آسيا وإفريقيا، وسارع سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م إلى استضافة مقر منظمة المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة، كما أنه كان وراء ترشيح الملك الحسن الثاني لترؤس لجنة القدس ومن أكبر الداعمين لذلك.

وقد قام العاهلان بدور كبير في دعم منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها المُمثل الشّرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وظهر ذلك جليًا خلال القمة العربية الثامنة التي انعقدت في الرباط ما بين ١٠ و١٣ من شوال ١٣٩٤هـ/ ٢٦ و٢٩ من أكتوبر ١٩٧٤م. فبفضل جهود العاهلين (فيصل والحسن الثاني)، اتفق أعضاء المؤتمر على تبني القرار الذي يؤكد حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه، وحقه في إقامة

---

(٣٢) مرداد، جميل بن محمود محمد، العلاقات بين دول الخليج ودول المغرب العربي: الواقع والمستقبل، أعمال مؤتمر عقد بتونس سنة ٢٠٠٣م، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ص١٨٧.

سلطة وطنية مستقلة بإدارة منظمة التحرير الفلسطينية لأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني؛ لذا كان مؤتمر الرباط من أكثر المؤتمرات العربية نجاحًا، حيث استطاع العاهلان السعودي والمغربي - بحكم علاقاتهما الطيبة مع كل من الملك الحسين وياسر عرفات - تطويق الخلاف والتوصل إلى مصالحة بينهما، وتقريب وجهات نظرهما التي كانت متباعدة جدًا. يقول جان دولف عن ذلك: "ولكي ينحني الحسين أمام هذا المطلب دعت الحاجة إلى الضغوط البارعة للملك الحسن الثاني، وإلى تلك الأكثر مهابة أيضًا للملك فيصل"(٣٣).

ونتيجة لجهود العاهلين، تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٨ ذي القعدة ١٣٩٤هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤م، قرارًا يعترف للشعب الفلسطيني بحقه في استعادة حقوقه بكل الوسائل.

وفي الوقت الذي نددت فيه منظمة التحرير الفلسطينية بتقاعس الدول العربية في الوفاء بالتزاماتها حيال القضية الفلسطينية، أكد العاهل المغربي في لقاء صحفي أن المغرب والمملكة العربية السعودية فقط هما اللذان ما زالا يقدمان للمنظمة الدعم المالي، كل حسب طاقته الإسهامية(٣٤).

وهكذا رأينا مدى العناية التي وجهها العاهلان فيصل والحسن الثاني لحل المشاكل التي تهدد العالم العربي وخاصة

---

(٣٣) بنوا ميشان، فيصل، تعريب رمضان لاوند، دار أسود للنشر، بيروت ١٩٧٥م، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٣٤) ورد في حديث صحفي أدلى به الملك الحسن الثاني للصحيفة الفرنسية (France Soir ò) في ٩ نوفمبر ١٩٧٧م.

فيما يتعلق بقضية العرب الأولى قضية فلسطين، مما يؤكد تطابق وجهات نظريهما والتوافق والتجانس بينهما حول مختلف القضايا العربية، بحيث أكد البلدان ضرورة احترام الوحدة الوطنية للدول العربية وسلامة أراضيها، داعين إلى حل كل الخلافات والنزاعات أينما وجدت بالحوار والمفاوضات السلمية، ومنذ ذلك الحين ظهرت السعودية والمغرب لتصبحا دولتين فاعلتين وأساسيتين في النظام العربي، وأصبحتا "مركزًا للدبلوماسية العربية الجماعية"(٣٥).

٢ - على المستوى الإسلامي:

ارتبطت مسألة طرح المشروع الإسلامي بالدعوة التي وجهها الملك فيصل منذ مطلع الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية، إلى جميع الدول العربية والإسلامية؛ من أجل إنشاء منظمة إسلامية تجمع شمل المسلمين، وتعمل من أجل الدفاع عن مصالح الأمة الإسلامية وتوحيد كلمتها. وقد صاحبت هذه الدعوة السعودية؛ ردود فعل عنيفة من جانب الأطراف العربية ذات الأنظمة الاشتراكية التي اعتقدتها دعوة موجهة ضدها(٣٦).

---

(٣٥) عنيس، عبدالرحيم، السياسة المغربية الشرق أوسطية، مرجع سابق، ص٨٥ .

(٣٦) انظر: "القومية العربية والإسلام السياسي" مجلة الوحدة، عدد٥٢، يناير ١٩٦٨م، ص٦ ومابعدها. وانظر في الموضوع نفسه، الحجيلان، جميل بن إبراهيم، نظرات في علاقة المملكة العربية السعودية السياسية في المحيط العربي، ضمن أعمال الندوة الدولية لدارة الملك عبدالعزيز احتفالا بمرور مئة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

وقد تأكد هذا التوجه الإسلامي للسياسة السعودية بمجموعة الرحلات والزيارات التي قام بها الملك فيصل منذ منتصف الثمانينيات الهجرية/ الستينيات الميلادية، إلى عدد من العواصم الإسلامية الأفريقية والآسيوية؛ من أجل إضفاء شرعية عربية وإسلامية على مشروعه الإسلامي(٣٧). حيث كان الهدف الأساسي من هذه الزيارات دعم مسيرة التضامن الإسلامي، والدعوة إلى توحيد المواقف لمجابهة أعداء الإسلام، وتدارس مختلف وجهات النظر حول القضايا الإسلامية والعربية والدولية، وعلى رأسها قضية فلسطين، وفي الوقت نفسه قطع آلاف الأميال حرصًا منه على شرح جميع الأهداف السامية التي ينادي بها لإظهار النهج الذي تسير عليه دولته(٣٨).

وقد جوبهت هذه الحملة بمعارضة شديدة من طرف الدول العربية ذات التيارات القومية الثورية الاشتراكية، وقد كانت حينها تتهم كل من عارض المنهج الثوري، وكل من دعا إلى ربط العروبة بالإسلام أو رفض فصل الدين عن الدولة بأنه عدو للعروبة(٣٩).

---

(٣٧) كانت أطول سلسلة رحلات قام بها رئيس دولة في العالم خلال فترة قصيرة من الزمن (كان عرشه فوق فرسه)، فخلال الفترة الواقعة بين ١٣٨٥-١٣٩٥هـ/١٩٦٥-١٩٧٥م، قام - رحمه الله - بست وخمسين رحلة شملت (٥٢) دولة. انظر في هذا الشأن ما ورد عند: الحمودي، عبدالرحمن، الدبلوماسية والمراسم السعودية، مرجع سابق، مج٣، ص١١٩٤

(٣٨) المرجع نفسه.

(٣٩) الرواف، عثمان ياسين، العلاقات السعودية المغربية، مجلة التاريخ العربي، عدد٣١، صيف ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٧٧- ٢٧٨.

وإذا كانت الدعوة إلى تضامن إسلامي قد جاءت من السعودية، فإن أكثر الاستجابات حماسةً لهذه الدعوة جاءت من المغرب؛ فخلال الندوة الصحفية التي عقدها الملك الحسن الثاني بمدينة جدة في أثناء الزيارة الرسمية التي قام بها للمملكة العربية السعودية (المحرم ١٣٨٨هـ/إبريل ١٩٦٨م) أكد في ذلك بقوله: "شرّفنا جلالة الملك فيصل وبلاده وشعبه بأن جعل المغرب مدافعًا عن وجهة نظر المملكة العربية السعودية فكان لنا ذلك تشريفًا وتكليفًا في وقت واحد"(٤٠).

وقد عملت الدبلوماسية المغربية على تكثيف جهودها بهدف التوصل إلى موافقة الدول العربية على المشروع السعودي، ومن أجل هذا الغرض بادرت الحكومة المغربية إلى الدعوة لعقد مؤتمر قمة إسلامي في المغرب، وكثفت جهودها الدبلوماسية من أجل تأمين مشاركة أكبر عدد ممكن من الدول العربية والإسلامية، وقد كللت مجهوداتها بالنجاح في عقد هذه القمة، وكانت مهمتها الهادفة إلى إحراز "إجماع عربي" يضفي على المبادرة السعودية مشروعية عربية، وقد كسب المغرب - بحق - الرهان عندما أجمع ممثلو الدول الإسلامية على تبني المبادرة السعودية. وشكل هذا نجاحًا دبلوماسيًا للمغرب والسعودية؛ فغدت بلادهما مركز جذب للتفاعلات الإسلامية والعربية، وقناة أساسية لمختلف المشاورات واللقاءات الإسلامية والعربية بالشرق

أجمع ممثلو الدول الإسلامية على تبني المبادرة السعودية

---

(٤٠) انبعاث أمة، ج١٣، مرجع سابق، ص١٦٦ .

والغرب(٤١)، وبرزت السعودية والمغرب حينئذ حلقة الوصل والجسر المتين بين العالمين العربي والإسلامي، وأصبحتا في مقدمة الدول الإسلامية التي برزت في النشاط السياسي الدولي.

فما العوامل والخلفيات التي حذت بالبلدين إلى إقرار سياسة إسلامية؟

لقد تزامنت المتغيرات السياسية التي شهدها النظام العربي بعد هزيمة سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م مع شروع أطراف عربية في التخطيط بجدية لرسم إطار جديد للعلاقات الدولية العربية، وذلك من خلال تجاوز الإطار العربي والدخول في إطار أوسع وأشمل هو الإطار الإسلامي، الذي تقتضي طبيعته الدخول في تحالفات مع دول إسلامية غير عربية.

وقد كان الملك فيصل، رحمه الله، من أول وأشد المنادين بهذه الفكرة، حيث طالب بمؤسسة تشمل العالم المسلم، وزار من أجل ذلك بلادًا مسلمة عدة لشرح الفكرة، محاولاً أن يثبت للعالم بأن الإسلام ليس منزويًا عن الأحداث، وليس دين جمود وإهمال، وإنما هو دين عبادة وعلم وسياسة(٤٢). وفي سياق التصور نفسه والدوافع نفسها أبدى المغرب حماسةً ورغبةً قوية في الدفاع عن المشروع السعودي الذي تبناه الملك فيصل بالدعوة إلى مؤتمر إسلامي، وهذا ما عبّر عنه الملك فيصل في خطابه الموجه للملك الحسن الثاني:

---

(41) Ihrai(S) et Aouchar(A): Les relations internationales du Maroc du XVI siècle au début du XX, Casablanca, 1991, p238.

(٤٢) انظر ذلك بتفصيل عند: ابن فياض، زيد بن عبدالعزيز، الوحدة الإسلامية، مطابع القصيم، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

"وفي هذه المناسبة يطيب لي أن أعبر لجلالتكم عن شكري لما تفضلتم به من تأييد لما نقوم به جميعًا من مساع تهدف في اتجاهها إلى ربط أواصر الأخوة والمحبة بين الإخوة العرب والإخوة المسلمين... وإنني يا صاحب الجلالة، أحب في هذه المناسبة أن أوضح لجلالتكم أن ما نسعى إليه هو ما تسعون إليه من أخوة إسلامية وتعاون إسلامي وتقارب إسلامي"، ويضيف قائلاً: "فإنني أؤكد لجلالتكم بأننا نقدر كل التقدير ما تعهد به جلالتكم"(٤٣).

وقد تحقق ذلك في الواقع الملموس بانعقاد أول مؤتمر للدول الإسلامية على أرض المغرب بالعاصمة الرباط في١١ رجب ١٣٨٩هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩م، بحضور ستة وعشرين دولة إسلامية، ورغم الصعوبات التي واجهها المؤتمر فإنه نجح في التوصل إلى إضافة نقطتين تتعلقان بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها، ودعم الفلسطينيين في نضالهم من أجل التحرير الوطني، بحيث شكل نجاح هذا المؤتمر الإسلامي، انتصارًا للدبلوماسية السعودية المغربية، ومكّن البلدين من التحول إلى مركز التفاعلات الدولية، واحتلال مكانة بارزة داخل المجموعة الإسلامية.

عقب مؤتمر الرباط، انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بجدة في الفترة ما بين ١٥-١٧ من المحرم ١٣٩٠هـ/٢٣-٢٥ من مارس١٩٧٠م، بمشاركة ثلاث وعشرين

---

(٤٣) مجلة وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، عدد خاص تحت عنوان " فيصل يتكلم"، مرجع سابق، ص٨١-٨٢.

دولة عربية وإسلامية، وثلاثة مراقبين؛ افتتح الملك فيصل المؤتمر بفندق قصر جدة، وألقى كلمة قيمة بارك فيها هذه الثمرة الطيبة لإنشاء أول منظمة إسلامية؛ خدمة للإسلام، وللأمة الإسلامية قاطبة. ولقد بذل الملك فيصل جهودًا هائلة لتخطي عقبات اختلافات الدول الإسلامية السياسية والعرقية والأيديولوجية والمذهبية، ونجح في تأسيس "منظمة المؤتمر الإسلامي" التي تضم الآن أكثر من ٥٠ دولة إسلامية. كان من نتائجها أن بادرت أكثر من ٤٢ دولة أفريقية وآسيوية إلى قطع علاقاتها مع إسرائيل. وخلال هذا المؤتمر قرّر المجتمعون إنشاء أمانة عامة للمؤتمر الإسلامي تكون جدة مقرًا مؤقتًا لها إلى أن يتم تحرير القدس(٤٤). ومن أهم منجزات هذا العمل السعودي المغربي المشترك في مجال العالم الإسلامي، إخراج القضية الفلسطينية من إطارها العربي الضيق، وإدخالها إلى العالم الإسلامي الرحب، وإعطاؤها بعدًا إسلاميًا يُتيح لها المزيد من الدعم والتماسك والتأييد، ويجعل منها قضية عربية وإسلامية في آن واحد، بحيث أصبحت القضية الرئيسية التي تحتل إحدى أولويات العمل الإسلامي المشترك.

إن تماثل مواقف السعودية والمغرب وارتكازهما على التضامن الإسلامي، يسفر عن رغبتهما الأكيدة في إعادة التوازن عبر التضامن الإسلامي إلى علاقات القوى السائدة داخل النظام

---

(٤٤) الحمودي، عبدالرحمن، الدبلوماسية والمراسم السعودية، مرجع سابق، مج٢، ص٨٩٠.

العربي(٤٥)، تمثلت - كما يرى الدكتور محمد عابد الجابري - في "الارتباط بالإسلام والعروبة وإقرار وحدة الهدف".

وقد أكد الملك فيصل ذلك بقوله: "وإنني أدعو جميع الإخوان العرب بأن يتفضلوا ويشاركوا في هذه الدعوة المباركة، الدعوة للإيمان بالله، الدعوة للتآخي الإسلامي، الدعوة للتعاون الإسلامي لصلاح شأن المسلمين... وإنني أؤكد لجلالتكم بأننا ليس لنا أي غرض من الأغراض سوى غرض واحد هو التفاف العرب وتآخيهم وتعاونهم فيما يصلح شأنهم وفيما ينهض ببلدانهم على اختلاف مذاهبها وألوانها... فيجب أن نشد الأيدي بالأيدي وننبذ الخلافات، فليست هناك قضايا بين العرب"(٤٦). وفي الاتجاه نفسه تحدث الملك الحسن الثاني، إذ جاء في خطابه: "إن إيماننا هو الذي دفع بنا كذلك إلى الترحيب بدعوة تآلف شعوب المسلمين وجمع صفهم وتوحيد كلمتهم تحقيقًا لمصداق الحديث "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا"، فنحن نفهمها كما تفهمها جلالتكم ونريدها كما تريدونها، دعوة إسلامية تستجيب لواقع الإسلام والمسلمين... وفي كلمة جامعة نريدها كما تريدونها قوة تعزز قوات السلم والحرية وفي خدمة أغراضها... وذلك مما يؤلف حلقة من التشابه بين شعبنا وشعبكم العربي الأصيل..."(٤٧).

---

(45) La politique étrangère et vision du jeu I.R.Henry: international : Les stratégies tiers.mondiste des Etats du Maghreb/A.A.N-1978. (249).

(٤٦) مجلة الإعلام السعودية، فيصل يتكلم، مرجع سابق، ص٨٢.

(٤٧) انبعاث أمة، ج١١، مرجع سابق، ص١٩٢-١٩٤.

الخاتمة:

يتضح لنا - من خلال العرض السابق - مدى عمق العلاقات الأخوية التي ربطت بين البلدين الشقيقين السعودية والمغرب، وتميزها في جميع المجالات خلال عهد الملك فيصل، وأن هذه العلاقات قد تجاوزت التفاهم إلى التطابق والود إلى الترابط، حيث شكلت هذه المعطيات الأسس التي انبنت عليها العلاقات بين المملكتين في وقتنا الحاضر.

وقد أسهمت الزيارات المتبادلة بين العاهلين، في تعزيز هذه العلاقات وتطويرها في مختلف المجالات وعلى شتى المستويات حتى أضحت العلاقات السعودية المغربية تعد نموذجًا يحتذى به في التضامن والتآخي.

ونظرًا لما كان يتمتع به العاهلان (فيصل والحسن الثاني) من مكانة متميزة في العالمين العربي والإسلامي، وبسبب اعتدال سياستهما واتزانها واستقرارها في الساحة العربية والإسلامية والدولية، فإنهما أصبحا مؤهلين لتأدية دور قيادي جوهري في الحوار بين الدول العربية من جهة، وحوار العرب مع المسلمين والغرب من جهة أخرى.

وأفضل ما أختم به هذا العرض ما جاء على لسان العاهلين في شأن الترابط السعودي المغربي، ففي خطاب للملك فيصل في أثناء زيارته الرسمية للمغرب، قال فيه: "وكذلك فإنني كخادم لشعب المملكة العربية السعودية أؤكد لجلالتكم بأن شعب المملكة العربية السعودية يؤيدكم ويؤيد بلادكم وينظر إليكم كإخوة مهما كانت الشقة بعيدة جغرافيًا

فإن القلوب مع بعضها، ولهذا السبب فإن تقارب الشعبين والبلدين هو الأمر الطبيعي وخلافه هو الأمر النشاز"(٤٨)، وفي كلمة ألقاها جلالة الملك الراحل الحسن الثاني في أثناء زيارته للسعودية: "تمكنا مرة أخرى من الوصول إلى هذه الحقيقة المستمرة والدائمة، ألا وهي أنه ليس هناك بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة المغربية أي نقطة خلاف لا في العمق ولا في الشكل"(٤٩)، كما صرح جلالته في إحدى خطبه: "لو خيرت بين جنسيتين إضافة للمغربية لاخترت الجنسية السعودية".

---

(٤٨) مجلة الإعلام السعودي، "فيصل يتكلم"، مرجع سابق، ص٨٤.

(٤٩) نافع محمد، المغرب - السعودية علاقة الأخوين، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٩٨م، ص١٦٣.